كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

مرحلة الدكتوراه/ لغة

معاني الأبنية

معاني أبنية الصفة المشبهة

أ.د. خولة محمود فيصل

الصفة المشبهة :

يرى النحاة أن الصفة المشبهة تدل على الثبوت ، ومعنى الثبوت الاستمرار واللزوم , أي أنها تدل على أن الصفة ثبتت في صاحبها على وجه الدوام نحو (جميل وطويل وكريم وأحمق وأسمر وأبيض وجواد وضخم). فاذا أردنا الحدوث حولنا الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل.

جاء في التصريح : « أنك إن أردت ثبوت الوصف قلت (حَسَنٌ) ولا تقول (حَاسِنُ) وإن أردت حدوثه قلت (حَاسِنٌ) ولا تقول (حَسَنٌ)

وقال ابن يعيش : (هذه الصفات وإن كانت من أفعال ماضية إلا أنَّ المعنى الذي دلتْ عليه أمر مستقر ثابت متصل بحال الإخبار ، ألا ترى أنَّ الحسنَ والكرمَ معنيان ثابتان ومعنى الحال أن يكونَ موجوداً في زمنِ الإخبارِ فلما كان في معنى الحال أعمل فيما بعده ولم يخرج بذلك عن منهاج أسماء الفاعلين . فإن قُصِدَ الحدوث في الحال أو في ثاني الحال جيء باسم الفاعل الجاري على المضارع الدال على الحال أو الاستقبال وذلك قولك (هذا حاسن غداً) أي سيحسن و (كارم الساعة) ومنه قوله تعالى ((فلعلك تاركٌ بعضَ ما يوحى إليك وضائقٌ به صدرُك)) [هود ١٢] ... و وعدل عن ... (ضيق) إلى (ضائق) ليدل على أنه ضيقٌ عارضٌ في الحالِ غير ثابت وعلى هذا تقول : (زيد سيد جواد) تريد أنَّ السيادة والجود ثابتان له فإذا أردت الحدوثَ في الحالِ أو في ثاني الحال قلت : (سائد وجائد) .

وقال : ابن القوّاس في شرح الكافية أنها – يعني الصفة المشبهة – لا توجد إلا ثابتة في الحال سواء كانت موجودة قبله أو بعده فإنها لا تتعرض لذلك بخلاف اسم الفاعل فإنه يدل عليه الفعل ويستعمل في الأزمنة الثلاثة ويعمل منها في الحال والاستقبال ولذلك إذا قصدنا بالصفة معنى الحدوث الذي ثبت أتى بها على زنة الفاعل فيقال في (حسن) (حاسن) فـ(حسن) هو الذي ثبت له الحسن مطلقاً , و(حاسن) هو الذي يثبت له الآن أو غداً .

والظاهر أن الصفة المشبهة على أقسام منها ما يفيد الثبوت والاستمرار نحو (أبكم وأصم وأفطس وأشهل وأحور وأسمر وأبيض وأعور وأفوه أي واسع الفم ونحو طويل وقصير ودميم وعقيم) . وقد تدل على وجه قريب من الثبوت في نحو (نحيف وسمين وبليغ وكريم وجواد) . وهي لا تدل على الثبوت في نحو(ظمآن و غضبان وريان) - كما سنرى ذلك مفصلاً .

وعلى هذا لا نرى أنْ يحكم بالثبوت عموماً على الصفة المشبهة بل الأولى التفصيل .

دلالات أبنية الصفة المشبهة

ليست أبنية الصفة المشبهة ذات دلالات واحدة بل هي مختلفة , لكل بناء منها ما يميزه من غيره . وقد جاء في (الكتاب) : (والعرب مما يبنون الأشياء إذا تقاربت على بناء واحد)

وأشهرُ أبنية الصفة المشبهة ما يأتي :

أولاً: فـَعِـل (بفتح الفاء وكسر العين) : ويصاغ من (فعل) المكسور العين اللازم للدلالة على :

أ – الأدواء الباطنة نحو (وَجِع , و دَوٍ , و حَبطٍ , وعَمٍ من عمي قلبه).

ب – للدلالة على العيوب الباطنة كـ(لَحِز – أي بخيل – و نَكِد , وشَكِس) .

ج – للدلالة على الهيجانات والخفة كـ(أَشِر , وبَطِر , وفَرِح) .

د – للدلالة على الذعر والخوف , لأنه داء قد وصل إلى فؤاده كما وصل إلى بدنه وذلك قولك : فَزعتُ فزعاً وهو فَزِعٌ . و يفرَق فرَقاً وهو فَرِقٌ . و وجَلَ يُوجلُ وَجلاً وهو وَجِلٌ . ووجِرَ وجراً وهو وَجِرٌ . وقالوا (أوجر) فأدخلوا (أفعل) ههنا على فَعِلٍ لأنَّ فَعِلاً و أفعل قد يجتمعان كما في : شَعِث و أشعَث , وحَدِب و أحدَب , وجَرِب و أجرَب ...

ومما سبق يتبين لنا أنَّ هذا البناء يتسم بالمعاني الآتية :

1. إنه عَرَضٌ , والمراد بالعَرَضِ هنا المعنى العارض للذات غير الراسخ أو المستقر . وأنه مما يحصل ويسرع زواله كـ(فَرِحٌ , وأَسِفٌ) و (غَمِشَ بصره غمشاً فهو غَمِشٌ أظلم من جوع أو عطش وكأن سوء البصر يعني وضعاً وكأن الغَمَش عارض ثم يذهب)

وقالوا : زهمت يده زهماً فهي زهمة صارت فيها رائحة الشحم .

فهذه الصفات كلها أعراض ولذا بنوها على فَعِلٍ , وهذه الظاهرة عامة في هذا البناء أو تكاد .

2. إنَّ هذا البناء يتسم بظاهرة الهَيْج والخفة كـ(قَلِق , وأرج , وفَرِح ومَرِح , وأشِر وجَذِل)

3. إنَّ هذا البناء غالباً فيما يُكره أمره من أوجاع وعيوب باطنة وشدائد وما يعسر أمره أو في المكروهات عموماً كـ(عَسِر و شَكِس و رجلٌ ظَهِرٌ إذا أشتكى من ظهره , مثل (فَقِر) إذا اشتكى من فقاره , قال طرفة :

وإذا تلسنني ألسنُها إنني لستُ بموهونٍ فَقِر

وقالوا : خَمِر وهو الذي خامَره الداء , ورجلٌ حَفٍ إذا رقت قدماه من المشي .

ورجلٌ شَرِسُ سيء الخلقِ ومثله شَكِس و ضَرِس وعَكِص وشَزِن , وحَمِق , ونَكِد ...

وهي كلها مكروهات من داء وغيره جعلوا ما ليس داء من عيب ونحوه بمنزلة الداء نحو (فَرِق وفَزِع ووَجِل وحَمِق , وشَرِس , وشَكِس) كأنَّ هذه أدواء ابتلوا بها .

ثانياً : أفعل : هو ويكون وصفاً لـ:

أ. الألوان : نحو أحمر وأزرق

ب. العيوب الظاهرة : نحو أعمى وأجهر وأعور وأحول وأخفش.

ج. والحلى من خلقة أو ما بمنزلتها : ونعني بالحلى العلامات الظاهرة للعين نحو أغيد وأهيف وأكحل ، والأكحل من كانت عينه سوداء خلقة كأنها كحلت ، وقيل الكحل في العين أن تسود مواضع الكحل والكحلاء هي التي تراها مكحولة وإن لم تكحل ومنه : (ليس التكحل في العينين كالكَحَلِ).

جاء في (شرح الرضى على الشافية) : (وما كان من العيوب الظاهرة كالعور والعمى ومن الحلى كالسواد والبياض والصلع أن يكون على (أفعل) ومؤنثه فعلاء وجمعهما فعل . فمن ثم قيل في عمى القلب عم . لكونه باطناً وفي عمى العين أعمى ... وقد يدخل أفعل على فعل قالوا في (وجير) أي خاف وهو من العيوب الباطنة فالقياس فعل : وجر وأوجر ومثله حمق وأحمق

وكذا يدخل (فعيل) (على) أفعل (في العيوب الظاهرة والحلى نحو شعث وأشعث وحدب وأحدب وكدر وأكدر)

قال سيبويه : « أما الألوان فإنها تبنى على أفعل وقد يبنى على أفعل والكون الفعل على فعل يفعل والمصدر فعل ما كان ذاك أو عيبا لأن العليا نحو الداء ففعلوا ذلك كما قالوا أجرب وأنكد وذلك قولهم عور يعور وهو أعور .

من هذا يتضح أن بناء (افعل) يختص بالصفات الظاهرة مما كان خلقة او بمنزلتها فالأعسر مثلاً هو الذي يعمل بيسراه من العسر ولكن (العسير) من العُسْر والقدير من القدرة ولكن (الأقدر) القصير العنق ، والقصير معروف ولكن (الأقصر (من فيه يبس في العنق من داء لا يستطيع الالتفات ، والشريف معروف ولكن (الأشرف) المرتفع الطويل الذي أشرفت وابلته أو المرتفع المنكبين ، والمليح من الملاحة و (الاملح) من الملح وهو أشد الزرق الذي يضرب إلى البياض وهو لون ، والبليد من البلادة وهو معروف أما (الأبلد

) فمن البلدة وهو الذي ليس بمقرون أي نقي ما بين الحاجبين ، والصبيح من الصباحة وأما (الأصبح) فهو ما كان لونه قريباً من الأصهب وهو إحمرار الشعر مع بياض ، والفصيح من الفصاحة وأما (الأفصح) (فهو الأبيض الذي ليس بشديد البياض وهو والعجوز معروف أما (الأعجز) فهو العظيم العجيزة ، والخطيب معروف وهو من الخطابة أما (الأخطب) فهو لون أحمر بكدرة، والهادىء معروف وهو من الهدوء أما (الأهدأ)) فهو المرتفع الكتف المطمئن الصدر. والعليم من العلم وهو معروف أما (الأعلم) فهو المشقوق الشفة العليا .إلى غير ذلك من النعوت الظاهرة كالأسمر والأزرق والأصقع الطير ما كان على رأسه بياض والأصلع والأشعر بمعنى الكثير الشعر والأشفه أي العظيم الشفة والأخرس والأبكم والأخن والألثغ والألكن والألف والأعم والأشل والأقعس والأخمص والأسعف والأفرق والأقرن والأشرم والاهتم والأجدع ونحوه مما هو خلقة أو بمنزلتها من الأوصاف الظاهرة فبنوا على (أفعل) ما كان ظاهراً للعين من الحلى .

ما هو ثم ان (أفعل) يدل على الثبوت بخلاف (فَعِل) الذي هو للأعراض جاء في (شذا العرف) : (منها - أي الصفات من باب فرح - موضوع على البقاء والثبوت وهو دائر بين الألوان والعيوب والحلى كالحمرة والسمرة والحمق والعمى والغيد والهيف)

وعلى هذا نرى أنَّ لكل بابٍ معناه وأنه لا يبنى وصف على بابين إلا على إرادة معنين في الغالب .

ثالثاً : فَعْلان : ويتصفُ هذا البناء بالمعاني الآتية :

1. الحدو ث والطروء فالعطش في (عطشان) ليس ثابتاً وكذلك الشبع والجوع والري وإنما يزول . جاء في (الكليات) لأبي البقاء (الرحمن الرحيم : فعلان مبالغة في كثرة الشيء ولا يلزم منه الدوام كغضبان ، وفعيل الدوام الوصف كظريف فكأنه قال : الكثير الرحمة الدائمها) .

وجاء في (شذا العرف) أن من الصفات : ما هو في أمور تحصل وتزول لكنها بطيئة (الزوال كالري والعطش والجوع والشبع)

ودلالة هذا البناء على الحدوث بارزة في لغتنا الدارجة تقول : (هو ضعفان) إذا أردت الحدوث فإذا أردت الثبوت قلت (هو ضعيف) وكذلك سمنان وسمين . ألا ترى أنك تقول لصاحبك أنت ضعفان فيرد عليك أنا منذ نشأتي ضعيف ، وتقول له : أراك طولان ، فيقول: (أنا طويل منذ الصغر) .

2. الإمتلاء بالموصوف إلى الحد الأقصى فالغضبان هو والعطشان هو الممتلىء عطشاً والولهان هو الممتلىء ولَهَاً أي بلغ في الوله وقد وصف الله سبحانه موسى عليه السلام في

أشد غضبه فقال : ((فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً)) [طه ٨٦] أي ممتلئاً غضباً قال الزجاج : « الغضبان هو الممتلىء غضباً)

وقال السهيلي : (إنَّ الرحمن من أبنية المبالغة كغضبان ونحوه وإنما دخله معنى المبالغة من حيث كان في آخره الف ونون كالتثنية فإن التثنية في الحقيقة تضعيف وكذلك هذه الصفة فكأن غضبان وسكران كامل الضعفين من الغضب والسكر فكان اللفظ مضارعاً للفظ التثنية لأن التثنية ضعفان في الحقيقة .

وقال أبنُ القيم : (أنَّ في اسم (الرحمن) الذي هو على وزن (فعلان) ما فيه من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه للموصوف به . ألا ترى أنهم يقولون : غضبان للممتلئ غضباً وندمان وحيران ...)

3. حرارة الباطن : يصحب المتصف بهذا الوصف حرارة الباطن غالباً فالعطشان يكون حار الباطن وكذلك الثكلان والولهان الغالب مع إن من يتصف بهذا الوصف تكون في جوفه حرقة واندفاع وظماً، في امتلاء بالوصف ولكنه إتصاف حادث طارىء لا يلبث أن يزول . فالغضبان ليس هو الغاضب مع زيادة في الصفة فقط وإنما هو الغاضب الممتلىء غضباً مع حرارة جوف واندفاع كأن في جوفه مرجلاً بؤزه . قال تعالى : ((فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً)) . فوصفه بأنه ممتلئ غضباً . ثم وصف هدوء غضبه بعد ذلك بقوله : ((ولما سكت عن موسى الغضب)) [الأعراف 154] . فكأن الغضب كان يصيح بموسى ويهيجه ويلهبه . وكذلك الولهان والثكلان ونحوه .

رابعاً : فعيل :

ويأتي هذا البناء للدلالة على الثبوت مما هو خلقه أو مكتسبٌ كـ(طويل , وقصير , وخطيب , وفقيه) . إنَّ هذا الوصف يبنى من (فعُل) المضموم العين , وهذا الفعل يدل على الطبائع وعلى التحول فى الصفات فمن الأول وسم وجمل وقصر ومن الثاني بلغ وخطب وفقه فالفعل (قبح) يدل على أن صاحبه قبيح وأن هذا القبح خلقي غير مكتسب وكذا جمل ونحوها .

وأما بلغ وخطب ونحوها فللتحول في الصفات إلى ما يقرب من الطبع والخلقة فمعنى (بلغ) صار بليغاً ومعنى خطب صار خطيباً أي مارس الخطابة حتى صارت الخطابة سجية له في حين أن معنى (خطب) بالفتح ألقى خطبة ، وكذا تقول : (فقه محمد المسألة) أي فهمها ونقول (فقه محمد) أي صار فقيهاً بمعنى أنه مارس الفقه حتى صار الفقه سجية له جاء في (شرح الرضى على الشافية) : (قال : وفعل لا فعال الطبائع ونحوها كحسن وقبح وكبر وصغر فمن ثمة كان لازماً .....

أقول : اعلم أن (فعل) في الأغلب للغرائز أي الأوصاف المخلوقة والكبر والصغر ... وقد يجري غير الغريزة كالحسن والقبح والوسامة ... و مجراها إذا كان له لبث ومكث نحو حلم وبرع وكرم وفحش) (

ومن هنا كانت الدلالة على الثبوت في (فعيل) . جاء في (الصاحبي) : ا وتكون الصفات اللازمة للنفوس على (فعيل) نحو شريف وخفيف (٢) وعلى أضدادها نحو وضيع وكبير وصغير .

جاء في حاشية يس العليمي على التصريح : أنَّ الفقير يحتمل أن يكون صيغة مبالغة , أي كثير الفقر وأن يكون صفة مشبهة أي دائم الفقر .

وفي التصريح أنَّ : الفقيه من فقُه بالضم هو الذي صار الفقه سجية له .

وعلى هذا فأبرز ما يميز هذا البناء هو دلالته على الثبوت وذلك نحو : (أسيف وأسِف , ونشيط ونشِط) فـ(أسِف) على وزن فَعِل وهو يدل على العرض أي عدم الثبوت كما أنَّ فيه الدلالة على الهيج والخفة قال تعالى : ((فرجع موسى إلى قومه غضبان أسِفاً)) إنَّ صفة الأسف هنا غير ملازمة لموسى (عليه السلام) وإنما هو شيء عرض .

ومنه قول عائشة (رضي الله عنها) في وصف أبي بكر (رضي الله عنه) : ((إنَّ أبا بكرٍ رجلٌ أسيف)) أي حزين هذه صفته .

ويتضحُ مما مرَّ بنا أنَّ (فعيل) يدلُ على الثبوت واللزوم وأنَّ هذه الدلالة هي أبرز ما يميز هذا البناء فإذا أردنا أن نبالغ في هذا الوصف حولناه إلى (فُعال) نحو (طويل و طُوال , وكبير وكبُار , وعريض وعُراض) .

جاء في قوله تعالى : ((بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب)) وقال : ((أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عجاب)) فانظر الفرق بين التعبيرين , ففي النص الثاني (عجاب) قيل أنَّ العجب كان أكثر مما في النص الأول (عجيب) , ففتح الآية بالاستفهام الإنكاري وأكده بـ(إنَّ) و (اللام) وعدل من (عجيب) إلى (عجاب) وفي النص الأول كان العجب من مجيء منذر من بينهم , وفي النص الثاني ففيها يظهر المشركون عجبهم من توحيد الآلهة ونفي الشرك ولا شك أنَّ عجبهم في الثانية أبلغ لأنهم قوم عريقون في الشرك بل إنَّ الاسلام جاء أول ما جاء ليردعهم عن الشرك ويردهم إلى التوحيد .

بقي قسم من الصفات مسموعاً غيرَ مقيسٍ عليه كـ(فُعْل) نحو (حُرّ وصُلب) و (فَعل) نحو : (فَخم و ضَخم) و(فَعَل) نحو (حَسَن و بَطَل) و (فَعال) نحو : (جَبان وجواد) و (فِعال) نحو (هِجان وكِناز) وأغلبها مصوغ من الدلالة على الثبوت قياسه على (فعيل)

وهي تؤدي ما تؤديه (فعيل) من الدلالة على الثبوت , غير أن (فُعالاً) بضم الفاء أبلغ من (فِعال) بالكسر , و(فَعال) بالفتح وذلك لأنَّ الضمة أقوى من الكسرة , والكسرة أقوى من الفتحة .